سينما

نداء سينمائي لبناني

هل ينتهي القطاع كلّياً؟

أصدر سينمائيون وسينمائيات لبنانيون بياناً تناول أزمة قطاع السينما في ظلّ الأزمة الاقتصادية الخانقة والانهيار السياسي والاجتماعي

نديم جرجوره

قطاع السينما في لبنان يحتاج إلى دعم لتمكينه من «البقاء حيّاً»، ولمساعدته على الاستمرار. هذا حاضرٌ في بيان (يمكن وصفه أيضاً بـ«نداء») لسينمائيين وسينمائيات لبنانيين، صادر منذ وقتٍ قليل. الانهيار ضاربٌ في شؤون الحياة كلّها. شركات تُقفِل أبوابها، وأخرى تُقلّص عدد موظفيها وعمّالها، وبعضٌ منها يمتنع عن دفع الرواتب. الانهيار قاتل، في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والإعلام، والسينما جزءٌ من هذا كلّه. يقول البيان/ النداء إنّ الجروح كثيرة وخطرة، وإنّ البناء (مكاتب، استديوهات، آلات، إلخ) قابلٌ للإصلاح وإعادة الإعمار، وإنّ انفجار مرفأ بيروت (4 أغسطس/ آب 2020) «يُحطّم أكثر من نافذة، ويسحق أكثر من آلة»، والأهمّ «يُصيب أكثر من واحد منّا بجروح خطرة». منذ «انتفاضة 17 أكتوبر» (2019) اللبنانية، يُعاني قطاع السينما ارتباكات وتشنّجات. صالات عدّة تُقفل أبوابها، فالتظاهرات الليلية حاضرة قربها. الأزمة الاقتصادية تُسبِّب انتفاضة كهذه، وقطاع السينما يواجه تحدّيات سابقة عليها. يحاول كثيرون استكمال مشاريعهم. آخرون يُصرّون على مزيدٍ من العمل. لكنّ الوضع يزداد سوءاً. عاملات وعاملون في السينما اللبنانية، التي تشهد «تطوّراً حقيقياً في الأعوام الأخيرة، رغم انعدام أيّ دعم رسمي» (كما في البيان)، يُشاركون في الانتفاضة، ميدانياً وتعليقات فيسبوكية ونقاشات ومقالات وأفلاماً، وفي الوقت نفسه يجهدون للاستمرار، فالتوازن بين انتفاضةٍ وعملٍ أساسيٍّ بالنسبة إليهم.

الانتفاضة ليست عائقاً أمام استمرار عمل السينمائيين والسينمائيات، بل مطلبٌ وضرورة، يتمثّلان في اشتغالاتٍ جمّة، سابقة على الانتفاضة، تتناول أحوال الخراب اللبناني المزمن، بعيداً عن المباشرة والتسطيح. الانتفاضة تبدو كأنّها استجابة لحركة سينمائية لبنانية تكشف المخبّأ أو بعضه، وتُعرّي الممنوع أو جزءاً منه، وتفضح المستور أو تفاصيل قليلة منه. هذا كلّه (المخبّأ والممنوع والمستور) مُحرّم المسّ به، لأن الطغمة الحاكمة منذ النهاية المزعومة للحرب الأهلية اللبنانية (1975 . 1990) تخشى كلّ تنقيبٍ في ملفات مغلقة بأمر منها، فالتنقيب يُسقط السلطات منها، ويتركها من دون قدرة على التسلّط لحماية مصالحها. الانتفاضة تبدو كأنّها امتداد لسينمائيات وسينمائيين ينخرطون في أحوال بلدهم وشؤون ناس بلدهم، أفلاماً وسجالاتٍ وتحرّكات ميدانية تحصل بين فترة وأخرى من أجل مطلب معيشي أو أكثر.

والانتفاضة نفسها ردٌّ على بداية انكشاف حجم الأزمة الاقتصادية، المُترجمة في الاجتماع والعيش والعلاقات، فإذا بسينمائيين وسينمائيات يستجبن لها ولمطالبها العامة، من دون تغاضيهم عن واجب النقاش والتحليل، قبل إصابة البلد بوباء كورونا، الذي يُنقذ . وإنْ لبعض الوقت . طغمة حاكمة تستفيد من قرارات تعبئة عامة لمنع التظاهر والمواجهة وإطلاق صرخة البحث عن خلاصٍ من خراب البلد. وكورونا يؤذي قطاعاتٍ كثيرة في البلد والعالم، فتتوقف أعمالٌ، ويُطرد عاملون وعاملات إما بحجّة تراجع العمل والأرباح، وإما بسبب انخراط عاملين وعاملات في «انتفاضة 17 أكتوبر»، فيكون الطرد بحجة تراجع العمل والأرباح «ضروريٌّ» لصاحب المؤسّسة، للتخلّص من صوتٍ حرٍّ، ولتخفيف أعباء عدّة عن كاهله.

> وزارة الثقافة غير مهتمّة بما يُفترض بها أنْ تهتمّ به

أما انفجار مرفأ بيروت، فيُصيب الجميع بأضرارٍ إضافية وكثيرة، في جوانب العيش، كما في الذات والروح والجسد. الرؤية واضحة: الخراب شامل، والواقع خطر. بيان السينمائيين والسينمائيات (العاملين والعاملات في مختلف جوانب المهنة) دعوة إلى دعم القادرين على الاستمرار والراغبين فيه «رغم كلّ شيء»، وإلى تمكين الشركات، القادرة على العمل، «من دفع رواتب موظّفيها في لبنان» وإنْ «لفترة يتمّ تحديدها، مع مراعاة خصوصية صعوبات كلّ شركة»، وإلى «إنشاء صندوق دعم لمساعدة العاملين لحسابهم الخاص (فريلانسرز)، ممن ليس لديهم عمل حالياً»، فهؤلاء تحديداً يُشكّلون الغالبية الساحقة من العاملين في السينما، و«ليس لديهم دخل ثابت».

فلا «الدولة» (المفقودة أصلاً) معنيّة بغير السياسة، وبغير المرتبط بها مباشرة. ولا وزارة الثقافة مهتمّة بما يُفترض بها أنْ تهتمّ به، منذ تأسيسها منتصف تسعينيات القرن الـ20، رغم اكتراثٍ واضح لوزراء قليلين بالثقافة والفنون، ضمن الأطر الضيّقة جداً في المؤسّسات الرسمية. لذا، يبدو البيان/ النداء السينمائيّ خطة عمل، تحرص على تقوية العَصَب السينمائي في لبنان، وتبغي حلولاً يعرف المطالبون بها مُسبقاً أنّها مؤقّتة، لكنّها قابلة لتخفيف بعض العبء الكبير عمن يشتغل في المهن السينمائية المختلفة، والمشتغلون في المهن تلك يواجهون اليوم أزمة تزداد حدّة، فتُفتح أمامهم طريق الهجرة: «إذا غادرت هذه المواهب والخبرات، فإنّ ذلك يكون نهاية قطاع السينما في لبنان».

فهل ينتهي قطاع السينما في لبنان فعلياً، أمْ أنّ إعلاء مستوى الصرخة منبثقٌ من قلقٍ فعليّ على واقع القطاع حالياً، وعلى مستقبله أيضاً؟ المخاطر كثيرة، والراهن يُنذر بأحوال مخيفة، والمناكفات السياسية تقول من دون لُبسٍ أنّ الأولوية للطائفة/ القبيلة لا لأي شيءٍ آخر. هذا منافٍ لسينمائيين وسينمائيات كثيرين، ولآخرين يعملون في قطاعات تعاني، بدورها، أهوالاً عدّة. هذا مناقض لاشتغالات سينمائية، يواجه صانعوها صدامات مع سلطاتٍ تريد النسيان ركيزة عيش، وتحاول استئصال كلّ رغبة في تصالحٍ جذري مع تاريخ وذاكرة وراهن، لتشييدٍ وطن وتأسيس دولة. هذا قاتل لأفراد يريدون خلاصاً في بلدهم، لا هجرة إلى منافي العالم، لكنّ المنافي والهجرات تبدو كأنّها قدرٌ.

انفجار مرفأ بيروت: ضربة قاضية (فرانس برس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«تينيت»: حين يغرق مخرج كبير في أفكاره

محمد جابر

يُفيد دائماً إلقاء نظرة على كيف بدأ كلّ شيء، لفهم كيف انتهى الأمر.

عام 1997، كان المخرج الإنكليزي كريستوفر نولان في منتصف عشرينياته. شابٌ شغوفٌ بالسينما، يريد صُنع أفلام. جمع أصدقاء وأقارب، وبدأ تصوير فيلمٍ أسماه Following، عن نصّ كتبه بنفسه. استمرّ التصوير عاماً واحداً تقريباً، لاضطراره إلى العمل أيام الإجازات فقط. بلغت كلفة إنتاج الفيلم 6 آلاف دولار أميركي لا غير. النتيجة مُدهشة: عملٌ جميلٌ وذكي، لفت أنظار الجميع إليه، فانتقل سريعاً إلى هوليوود لإخراج فيلمه الثاني، Memento، عام 2000، بلعبة سردية فائقة التجديد (سرد أحداث الفيلم عكسياً، أي من نهاية الأحداث إلى بداياتها)، مكتوبة في سيناريو ذكيّ وحاذق وعاطفي جداً.

بعد ذلك، أصبح كريستوفر نولان أنجح مخرجي هوليوود في العقدين الأخيرين، من دون منازع. صار المخرج النجم، ذي البصمة التي لا يُخطئها أحد. في أفلامه كلّها، باستثناء ثلاثية «الرجل الوطواط (باتمان)»، كانت الألاعيب السردية ومساءلة الوقت والزمن أساسية. وصل إلى ذروة اشتغاله في Inception، عام 2010. أثار جدلاً واختلاف آراء جيّدا بفضل Interstellar، عام 2014. ثم بدأ بعده مرحلة الغرق في نفسه، وفي هوسه بالألاعيب والتقنيات والحقائق العلمية. في جديده Tenet، غَرق في هذا الصخب، إلى درجة افتقاد السينما نفسها في الفيلم.

السينما أشياء كثيرة، تختلف عند كلّ متلقٍّ. لكنْ، هناك مفاهيم عامة، ونسبية أيضاً، يُتّفق عليها، كفهم ما يحدث على الشاشة، أو التعاطف مع الشخصيات والشعور بالخَطر عليها، أو إدراك مشهد حركة، ومَن يحارب مَن. هذا كلّه يوصل إلى الـ«استمتاع». Tenet افتقد هذا، إذْ بدا أقرب إلى صراع وتحدٍّ مع المُشاهد. أحجيات تحدث في الحوار والصورة والأحداث كلّ دقيقة، من دون فهم أو تعاطف أو إدراك كامل لما يحدث.

القصة تبدو بسيطة في قسم منها. بساطة يعتمد عليها كريستوفر نولان في غالبية أفلامه، فيكون القالب الواسع فيلم سرقة (Inception) أو رحلة فضاء (Interstellar)، بينما يحدث التغيير والتلاعب في تفاصيل وعوالم ذلك، كأنْ تكون السرقة في الأحلام، وكأنْ تصل رحلة الفضاء إلى ثقب أسود يُغيّر معنى الزمن.

في Tenet، القالب خليطٌ من شيئين: الأول، أفلام الجاسوسية، وتحديداً جيمس بوند، حيث البطل (اسمه في الفيلم The Protagonist) يحاول إنقاذ البشرية من شريرٍ روسي يهدف إلى إنهاء العالم. الثاني، أقربُ إلى أفلام الخيال العلمي والسفر عبر الزمن، إذْ يتوجّب على البطل الرجوع بالزمن لتحقيق الإنقاذ.

في النصف الأول من الأحداث، يؤسّس Tenet القصّة البسيطة. تبدو الأمور واضحة.

كريستوفر نولان أثناء تصوير مشهدٍ من «تينيت» في 17 سبتمبر 2019 (كونال باتيل/Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أخبار

◆ قدّمت منصّة HBO Max فيلمها الجديد Unpregnant لراشيل لي غولدنبيرغ، في عرض أول «غير تقليدي»، من دون مظاهر الاحتفال بالعروض الأولى المعتادة، باختيارها «سينما درايف إنْ» أو «سينما سيارات» في لوس أنجليس لتقديمه، بسبب تفشي وباء كورونا، فشاهده المدعوون وهم في سياراتهم، بدلاً من مقاعد السينما التقليدية، وعلى شاشة في مكان مفتوح، علماً أنّ عروضه على المنصّة بدأت في 10 سبتمبر/ أيلول 2020. وهذا العرض الأول غير التقليدي «نموذج جديد يُشير إلى أنّ صناعة السينما والترفيه مستمرة في مواصلة نشاطها بشكل ما، رغم الوباء»، كما جاء في تقارير صحافية مختلفة، أضافت أن «العروض الأولى الافتراضية»، التي يُمكن للجميع مشاهدتها في منازلهم، باتت . في الأشهر الأخيرة . «جزءاً من آليّة الدعاية في هوليوود».

◆ حقّق «تينيت (Tenet)» لكريستوفر نولان نحو 20 مليون دولار أميركي كإيرادات في الأيام الـ5 الأولى لعروضه التجارية، بحسب بيان لـ«إكزيبيتور ريليشيز» المتخصّصة بصناعة السينما وأرقام أعمالها، علماً أنّه «أول إنتاج هوليوودي ضخم منذ 6 أشهر يبدأ عرضه في الصالات، التي تعاني صعوبة في العودة إلى وضعها الطبيعي، بسبب كورونا»، كما جاء في تقرير لـ«فرانس برس»، أضاف «أنّ من شأن مبلغ مماثل أنْ يكون مُقلقاً للشركة الموزّعة (وورنر برازرز) في الأوضاع الطبيعية، فالشركة تراهن على عرضه، علماً أنّ كلفة إنتاجه بلغت نحو 200 مليون دولار أميركي، وأنّه مُصوّر في 7 دول»، فـ«الوضع لا يسمح بمقارنة نتائج حقّقها فيلم بدأ عرضه خلال جائحة، إذْ خفّضت صالات السينما قدراتها الاستيعابية بسبب الوباء». إلى ذلك، تأمل صالات السينما، التي أقفلت أبوابها أشهراً عدّة، في عودة الجمهور إليها بفضل هذا الإنتاج الضخم، الذي ينتمي إلى فئتي أفلام التجسّس والخيال العلمي. وأشارت «هوليوود ريبورتر» إلى أنّ الفيلم . الذي حقّق 150 مليون دولار في عروضه العالمية . يُعتبر «أول فيلم يتجرّأ منتجوه على عرضه في الصالات خلال كورونا، بعد تأجيل إطلاقه أكثر من مرّة».

أقوالهم

يصنع بعض الرجال أفلامهم لينصحوا المرأة، وليبيّنوا لها الطريق الصحيحة (كما يرونها هم)، كأنّهم يقولون لها: «آه، رجلك مُتعب، عليك الاهتمام به». ربما تكون الشخصية الرئيسية في أفلامهم امرأة، لكنّها لا تتحدّث عن مشكلاتها، ولا تطرح حقوقها. أعتقد أنّ الموضوع (بالنسبة إليهم) غير مهمّ، بل وجهة النظر التي يُقدّمها الفيلم.

تهمينة ميلاني

في المجتمع الإيراني، يُفضَّل الحديث عن حقوق الإنسان، لا عن حقوق المرأة فقط. أعتقد أنّ النساء اللواتي يعشن هنا هنّ، بمعنى ما، نسويات. جميعهنّ يسعين إلى التعبير عن واقعهنّ عبر وسائل شتّى كالأفلام والكتابة. لكنْ، إذا أبْدَتْ عدوانية ما في طرحها عن حقوق المرأة، ستُقابَل حينها بعدوانيّة أشدّ.

نيكي كريمي

ماذا يعني أنْ أكون ممثّلة في إيران؟ يعني عدم نيلي حظّاً كافياً. لا يُمكن أنْ أكون نجمة بالمعنى المتداول للنجومية. لا يُمكن وضع ملصقات أو لوحات دعائية كبيرة لوجه امرأة في الشارع، وإنْ وُضعِت فذلك من دون إبراز ملامحها بوضوح.

ليلى حاتمي

أفعالهم

Money Heist: The Phenomenon للويس ألفارو، تمثيل **أورسولا كوربيرو** (الصورة): يُفسِّر هذا الوثائقي الإسباني، الذي تعرضه المنصّة الأميركية «نتفليكس» منذ 3 إبريل/ نيسان 2020، كيف ولماذا تمكّن المسلسل الإسباني «لا كازا دي بَابِل» من إثارة الحماسة الجماهيرية الواسعة له، التي دفعت مشاهدين كثيرين في العالم إلى متابعة حلقاته التي تروي حكايات مجموعة من اللصوص مع معلّمهم.

Disturbing The Peace ليورك ألك تشايكلتن، تمثيل **كيلي غرايسون** (الصورة) وغي بيرس (متوفّر للمُشاهدة بواسطة «فيديو عند الطلب» منذ 18 فبراير/ شباط 2020): بعد أعوام طويلة من اعتزاله المهنة، يضطرّ حارس من فرقة «تكساس راينجر» إلى استعادة السلاح، والبدء برحلة مليئة بالمخاطر لمواجهة غزاةٍ عنيفين لبلدته الصغيرة.

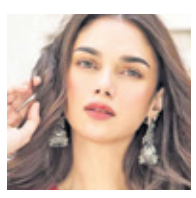

Psycho لميسّكين، تمثيل **أديتي راو هيداري** (الصورة): يتناول الفيلم الهندي هذا مفهوم الحبّ، من خلال حكاية تجمع بين أعمى ومجنون وامرأتين، ومنجل. فالسؤالان الأساسيان هما: من يحبّ من؟ ومن يحبّ ماذا؟